جامعة باجي مختار-عنابة
الكلية: الآداب و العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: علم الاجتماع

Université badji-mokhtar-annaba
المقياس: سوسيولوجيا المخاطر الصناعية والتكنولوجية
ماستر: علم إجتماع التنظيم والعمل

المحاضرة الأولى: سوسيولوجيا المخاطر الصناعية والتكنولوجية

Sociologie Des Risques Industriels et technologiques

1- مراحل تطور الفكر الاجتماعي للمخاطر:

1-1- المرحلة الدينية لإدراك المخاطر: (L'étape théologique de perception des risques)

إن المخاطرة والخطر وجدا منذ وجود الإنسان على هذه البسيطة مع أن ذلك يختلف حتما من حيث الدرجة والنوع والإدراك والتحكّم حيث كان يدرك المخاطر بطريقة غيبية أي إرجاعها إلى قوة الإلهية في تفسير المخاطر التي تحول حوله مهما كانت نوعها (طبيعية، اجتماعية، اقتصادية) التي من التعديدية الإلهية إلى الوحدانية الإلهية.

1-2- المرحلة اللائكية لإدراك المخاطر: (L'étape laïque de perception des risques)

إن أولريش بيك و أنتوني جيدنز يتفقان في كون أن (فكرة المخاطرة) بالمعنى الذي ارتبط بمجتمعات الحداثة قد ظهرت فجر النهضة الأوروبية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، إذ ارتبطت بظهور الاحتمالية في الحساب حيث سجل تاريخ العلم أن القرن السابع عشر مولد حساب الاحتمالية 1651 .. أي مولد أول محاولة في التحكم فيما هو غير متوقع وذلك بحساب إمكانية النجاح والخسارة مقابل المكان والزمان، حيث يقول جيدنز أن المخاطرة ارتبطت أولا بالمكان (الإبحار) ثم بالزمان (الاستثمارات) .

وإنه من الأهمية بمكان، أن نوضح أن البحث في موضوع المخاطر في الفترة المعاصرة كان وليد ظروف مجتمعية ومشكلات جمة طفت على السطح على مختلف الأصعدة أهمها الصعيد البيئي، وكذا الصعيد الأمني والسياسي والاقتصادي والثقافي، والاجتماعي .. وكل ذلك كان من مخلفات الحداثة التي وجهت المؤسسة العلمية- التكنولوجية والاقتصادية نحو خدمة وتحقيق انتصاراتها في الوقت الذي كان المجتمع يدفع ثمن تلك الانتصارات (العلمية خاصة) فبدأت تظهر في الجهة المقابلة إخفاقات مُقَابِل تلك الانتصارات، تمثلت أكثر ما تمثلت في الدمار البيئي (إنسان - حيوان - أرض - هواء - مياه ..) في صورة دراماتيكية رسمت ملامحها سياسة التصنيع والتجارب النووية والحروب الكيماوية وغيرها وهو الأمر الذي أثر بدوره على البعد الاجتماعي والثقافي من جهة أخرى، وذلك من حيث انقطاع الرباط الاجتماعي، فباتت العلاقات الاجتماعية كما أصفها "علاقات طيارة " فمن جهة هي تتشكل و تنتهي بسرعة بصورة تنذر بالخطر ومن جهة أخرى هي غير محدودة وثابتة وإنما تتمدد وتتطاير متحدية المكان والزمان بفضل تكنولوجيا الاتصالات الرقمية خاصة تلك العلاقات "الافتراضية" والتي شكلت أخطارا على العلاقات الاجتماعية "الحقيقية" إضافة إلى أن توسع شبكة العلاقات الاجتماعية عبر الفضاءات الالكترونية قد يحمل في طياته مخاطر توسع شبكة العلاقات "الإجرامية " .. وكذا تغذية صراعات و نزاعات إثنية وعرقية ذات بعد ثقافي ديني مما قد يترتب عنه أيضا مخاطر و أخطار أخرى عالمية على صعيد آخر و هكذا...

2- مفهوم علم اجتماع المخاطر (علم الاجتماع الجديد) :

علم اجتماع المخاطر هو ذلك العلم الجديد الذي يهتم بفهم و تفسير ظاهرة المخاطرة بأسبابها ونتائجها في السياق التاريخي والمجتمعي ككل، تفسيرا سوسيولوجيا ، كما أنه يعنى تحديدا بدراسة مخاطر الأخطار المنبعثة من عصر الحداثة وما بعدها، أي أنه يتناول بالدراسة المخاطر التي يعرفها عالمنا اليوم وأثرها على المجتمع الإنساني، وهو يرتبط بشكل كبير بإسهامات عالم الاجتماع الألماني أولريش بيك الذي يعزى له الفضل في صياغة مفهوم "مجتمع المخاطرة "، كما يبرز في هذا المجال أيضا علماء اجتماع مثل الانجليزي أنتوني جيدنز، والألماني نيكلاس لوهمان، والفرنسي دافيد لوبروتون.

3- أهم علماء علم اجتماع المخاطر:

3-1- أولريش بيك :

أولريش بيك (Ulrich Beck) عالم اجتماع ألماني 1944- 2015.

يرى أولريش بيك أن "مجتمع المخاطرة " قد ظهر مع منتصف القرن العشرين، وهو مجتمع ساخط على تبعات الحداثة السلبية، يبحث في كيفية إدارة المخاطر و الأخطار بالوقاية والعلاج معا،وهو ما أوضحه في كتابه (مجتمع المخاطرة) الذي كتبه عام 1986، مشيرا إلى أن مجتمعات النصف الثاني من القرن العشرين باتت مرغمة على مواجهة سلبيات الحداثة وإيجاد الحلول والبدائل المناسبة لمجابهة تحدياتها وإدارتها، وهو ما أسماه ب " عقد المخاطرة " أي مدى القدرة على التحكم في التهديدات والأخطار الناجمة عن الصناعة والقدرة على تعويضها .. غير أنه في كتابه الآخر الذي كتبه بعد عشرون سنة من ذلك، وهو كتاب (مجتمع المخاطر العالمي: بحثا عن الأمان المفقود) عام 2006، قد فرق فيه بين مجتمع المخاطرة و مجتمع المخاطر العالمي ، حيث هنا يظهر جليا أنه يتحدث عن "مجتمع عالمي" تنتشر فيه المخاطر والأخطار في مختلف الأقطار أو كما أصفها (المخاطر الطيارة أي التي تطير من مكان إلى مكان آخر دون أن نقدر على مسكها و إخضاعها أو التحكم فيها) لعبت

فيها العولمة و انسيابية التدفق و تخطي الحدود القومية دورا بالغا في: عولمة المخاطر والأخطار ومنه توسيع نطاق عدم الأمان المصطنع.

إذن، مجتمع المخاطر العالمي هو المجتمع العالمي الذي اشترك في احتضان المخاطر والأخطار، بعدما كانت المخاطر والأخطار لا تتعدى حدود الدولة القومية ها هي اليوم في عصر العولمة قد تخطت الحدود القومية لتتدفق في مختلف الاتجاهات و مثال ذلك الجماعات الإرهابية "المصنعة ".

ويعرف أولريش بيك مجتمع المخاطر بأنه "حالة من توافق الظروف أصبحت فيها فكرة إمكانية التحكم في الآثار الجانبية و الأخطار التي يفرضها اتخاذ القرارات محل شك "، وهنا نلاحظ أن المخاطرة مرتبطة باتخاذ القرار بشأن سلوك ما قد يحقق لنا: إما فرصة وإما خطرا، ومع تفاقم المخاطر والأخطار مقابل الفرص فإن مجتمع المخاطرة بات يعيش حالة من عدم الأمان و أيضا الشك وفقدان اليقين بخصوص إمكانيته و مقدرته على مواجهة تلك الأخطار والمخاطر و التحكم فيها مكانيا وزمنيا، و لهذا يتفق علماء المخاطرة على أن عالمنا اليوم يعيش حالة من فقدان اليقين العالمي.

وبيك يفرق بين المخاطرة و الكارثة، فالمخاطرة حسبه تعني التنبؤ بالكارثة أي هي إمكانية أن تطرأ أحداث و تطورات مستقبلية وإذا ما تحققت تصبح إذن كارثة، فالمخاطرة حدث متنبأ بحدوثه أما الكارثة فهي حدث فعلي.

وينطلق أولريش بيك في نظريته من ثلاث منظورات وهي:

أ- العولمة : حيث عملت على عولمة المخاطر و الأخطار و تجسيد اللحظة الكوزموبوليتانية (اللاقومية) مع تراجع الدولة القومية ، فبات ضروريا أن يتم فهم المخاطر في سياق عالمي و هو ما يسميه ب " الكوزموبوليتانية المنهجية " ، بعدما كانت تفهم في سياق قومي داخلي "القومية المنهجية".

ب ـ التصوير و الإخراج: وهو يعني أن المخاطرة و التي هي أمر كارثي متوقع و متنبأ به يتم إخراجه وتصويره بوصفه "توقعا ذَا مصداقية" ما يكسبه الصفة "الحقيقية " فيشكل صورة نمطية ذهنية في عقول الناس بأن الكارثة حاضرة بينهم، أي أن مستقبل الكارثة حاضرا الأمر الذي يهدف غالبا إلى منعها و تفاديها، والتصوير السينمائي للمخاطرة لا يعني تزوير الحقيقة من خلال تزوير مخاطر غير حقيقية وإنما هو عرض سياسي-إعلامي للجمهور وللعالم حتى يدركوا مستقبل المخاطرة و منه يتم تفادي الوقوع في الكارثة من خلال التأثير على القرارات الحالية، و حسن إدارة الوضع و التحكم فيه.

جـ ـ المقارنة بين المخاطر البيئية والاقتصادية والإرهابية: بحيث أن بيك انطلق في تحليله من ثلاث منطقيات للمخاطر الكونية وهي: مخاطر بيئية ـ مخاطر اقتصادية مالية ـ مخاطر الإرهاب، فاعتبر أن المخاطر البيئية و الاقتصادية تأتي (صدفة) أي عن حسن نية، أما مخاطر الإرهاب فهي (مقصودة) أي عن سوء نية.

ويربط بيك كل هذه المخاطر بثقافة المجتمع الناشئة فيه وفق ما أسماه بـ "الإدراك الثقافي للمخاطرة" وهو أن كل مجتمع له تقييمه الخاص لمستوى المخاطرة و درجتها، و كلما قلت إمكانية تقدير الخطر إكتسب الإدراك الثقافي المتنوع للمخاطرة ثقلا أكبر.

2-3- زيجموند بومان:

زيجموند بومان (Zygmunt Bauman) عالم اجتماع بولندي 1925 -2017.

أثناء حديثه عن عصرنا الحالي فيصف حالة "ما بعد الحداثة " بوصف مميز و يسميها بـ "الحداثة السائلة " بعدما كانت "حداثة صلبة "، ففي سلسلة كتبه عن الحداثة السائلة عَنْوَن واحدا منهم بـ (الخوف السائل) إشارة منه أن المخاطر والأخطار التي كانت تدور في حدود الدولة القومية قد سالت اليوم في عصر العولمة ليتعدى سيلانها حدوده فيسيل إلى مدى أبعد من ذلك فيصل إلى مناطق و أمكنة أخرى وسيلان الإرهاب والأضرار البيئية وغيرهما سيترتب عنه لا محالة سيلان الخوف.

3-3، نيكلاس لوهمان:

نيكلاس لوهمان (Niklas Luhmann) هو عالم اجتماع ألماني 1927-1998.

فإنه يفرق بين المخاطرة و الخطر في كتابه (المخاطرة نظرية سوسيولوجية) إذ يعرف المخاطر على أنها: أَذًى محتمل يخيف الفرد ويرتكز على قرار اتخذه بنفسه، إنها عملية الأَذى حسابية تأخذ بالاعتبار الخسارة والفائدة المُحتملة بالاستناد إلى الزمن، أما الخطر فهو المحتمل الذي يتعرض له الفرد بفعل مؤثرات خارجية، أي دون أن يتخذ الفرد نفسه قرارا بفعل كذا.

3-4- أنتوني جيدنز:

أنتوني جيدنز (Anthony Giddens) عالم اجتماع انجليزي 1938-1984.

يعرف أنتوني جيدنز في كتابه (عالم منفلت: كيف تعيد العولمة صياغة حياتنا) المخاطرة على أنها: تلك المجازفات التي يتم تقويمها فعليا في علاقتها بالاحتمالات المستقبلية كما يقول أنها هي القوة الدافعة للمجتمع الذي يصر على التغير والذي يريد أن يحدد مستقبله ولا يتركه للدين آو التقاليد أو لقوى الطبيعة.

و يرى جيدنز يرى أن المخاطر نوعان:

- **مخاطر خارجية:** وهي ما ارتبط بالتقاليد والطّبيعة (الأوبئة والفيضانات والمجاعة والجفاف و البيئة)، و التي تحدث خارج إرادة الإنسان.

- **مخاطر مصنعة (مخلقة):** هي التي يتدخل فيها الإنسان بإرادته، والتي تنجم عن قصور وقلة خبرة الإنسان.

كما ويرى جيدنز أن عصرنا ليس أكثر خطورة من العصور السابقة ولكنه شهد تحولا في توازن المخاطر والأخطار ما جعل المخاطر المخلقة التي نخلقها بأيدينا أشد خطرا وأثرا من

المخاطر الخارجية، هذه المخاطر المخلقة (المصنعة) جعلت النظرة للعلم تتغير حيث تراجعت النظرة العلمية والعقلانية .. وهو يسمي مجتمعنا اليوم بـ عصر ما بَعْد نهاية الطبيعة ومجتمع ما بعد نهاية التقاليد، وهو لا يعني أن الطبيعة قد انتهت تماما وإنما هو يقصد أن ما بقي من الطبيعة و البيئة من الشيء القليل جدا جعل العالم يبدو وكأنه يعيش حالة من ما بعد الطبيعة، ونفس الأمر بالنسبة للتقاليد.

3-5- دفييد لوبروتون:

دفيد لوبروتون (David Le Breton) عالم اجتماع إنثروبولوجي فرنسي 1953.

قدم لوبروتون من خلال مسيرته العلمية أكثر من 25 مؤلفا كان أولها كتابه "الجسد والمجتمع" سنة 1985 قبل أن يقحم البحث الأنثروبولوجي في زوايا لم يتطرق لها من قبل مثل أعمال حول علاقة الإنسان بالمخاطر أو تلك التي يخصصها إلى ثقوب الجسد، وأعمال أخرى تتناول المشي أو الموت في حوادث الطرقات، أي مختص في التمثلات الاجتماعية وتحديات الجسد البشري وعلى وجه الخصوص عن طريق تحليل مسارات السلوك المحفوف بالمخاطر (كقيادة السيارات، مخاطر الطرقات).

4- تنوع وتعدد المخاطر:

تتنوع المخاطر والأخطار التي يعكف علم اجتماع المخاطر على دراستها لتشمل مخاطر الدمار البيئي مثل تلوث الهواء والبحار، الغازات الدفيئة والاحتباس الحراري وثقب الأوزون والأمطار الحمضية والزراعة الوراثية وتناقص الثروات الباطنية و المياه الجوفية، تقلص المساحات الغابية والثروة السمكية ...الخ، إضافة إلى مخاطر التجارب النووية وتخصيب اليورانيوم وأسلحة الدمار الشامل والحروب الكيماوية، والأوبئة الفتاكة مثل أنفلونزا الخنازير والطيور وجنون البقر والإيدز و كورونا فيروس المسمى بـ COVID19، الاستنساخ والانتقاء الجيني مختلف التكنولوجيا الحيوية، كما هناك مخاطر متعلقة بالأمن القومي والعالمي مثل التطرّف الإيديولوجي والإرهاب الدولي، النزاعات الاثنية بين الطوائف

والأقليات،والصراع العرقي والجندري إضافة إلى تهجين الهويات، النزعة الفردانية وانقطاع الرباط الاجتماعي،والمشكلات الاقتصادية مثل الأزمات المالية العالمية، أزمات البترول وغيرها من المخاطر التي شهدها العالم مؤخرا والتي أثرت لا محالة على المجتمع الإنساني أفرادا و جماعات، حيث تراكمت و اتسعت إلى أن طفت على السطح منذرة بمستقبل كارثي يهدد أمن العالم دون استثناء، أغنياء العالم و فقراءه.

وكذلك من أهم المخاطر الصناعية والتكنولوجية التي تعتبر إنتاج اجتماعي، ضرر ضروري والتي يجب تفسيرها وتحليلها سوسيولوجيا ومن أهمها نذكر:

- المخاطر الصناعية (حوادث العمل، الأمراض المهنية).
- التطور التكنولوجي وانتشار المخاطر.
- القلق في الوسط المهني.
- العنف في وسط العمل.
- التحديات الاقتصادية وضغوطات العمل.
- تطور المجتمعات وتنامي المخاطر الاجتماعية.